جامعة الزقازيق
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

وَصَايَـــا عـــبد المـــلك بن مـــــروان النثريّة
(دراسة موضوعية فنية)

بحث مقدم من /

ولاء عبد المعبود محمد

2021م -1442هـ

مقدمة

تُعدُّ الوصايا من الفنون النثرية المهمة، فهي خلاصةُ تجاربٍ وخبراتٍ المُوصي في حياتِهِ، ولقد اهتمَّ الخلفاءُ والحكامُ بكتابةِ الوَصَايَا لخلفائِهم في الحُكمِ، وفِيْ غالبِ الأحْيَان تكون لابنِهِ وولي عَهْده، فيكتبُ له خُلاصة تجربتِهِ، وعصارة فِكْرِه، فِيْ شكل وصية يوصيه بها، وقد عُنيت هذه الدِّراسة باستقراء نماذج من وصايا علم من أعلام هذه الأمة التي عُرف من بينها بالحِكمة والفِطْنَة، والحِنْكة السياسية، فوصاياه تمثلُ حياته المليئة بالأحداث والمعاناة السياسية والحربية؛ ولذلك كانت وصاياه من أهم الوصايا في التاريخ الإسلامي، **ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع في:** تسليط الضوء على بعض جهود تلك الشخصية الفَذَّة التي بَرَزَت في الجانب الأدبيِّ ولا سيما النثري منه، فكان "**لعبد الملك بن مروان**" لسُن وفصاحة يُشار إليهما بالبنان، فهو لُغويٌّ فصيحٌ، وأديبٌ بارعٌ، بزغ اسمه في السياسة والفكر والأدب، وكان له باعٌ في صياغة العباراتِ بشكلٍ فنيٍّ لافت للنظر مع الردود المفحمة، والحُجَجَ المُقْنِعة، وسرعة الإدراك والفهم التي تأخذ مكانها في الألبابِ، وتكمن **أهمية البحث**–أيضًا– في إبرازِ القيمِ الفنيَّةِ، والأساليبِ الجماليَّةِ التي تميَّزَتْ بها وَصَايَا **عبد الملك ابن مروان** النثريَّة.

فذهبت الدراسة إلى البحث في وصايا عبد الملك بن مروان النثرية من ناحيتي المضمون والشكل، وقد قسمت الدراسة إلى **مبحثين** مسبوقة **بمقدمة وتمهيد ومذيلة بخاتمة**، وفي **المبحث الأول:** سأتناول المضامين وهي دراسة الموضوعات وتحليلها وبيان الغرض منها، وفي **المبحث الثاني:** سأتناول السمات الفنية لوصاياه التي أزالت عنها الغموض والتعقيد وجعلتها تلامس القلب مباشرة، ومنها ما يتصل بالأساليب اللُّغوية والوقوف على أسرارها مثل: الإيجاز والإطناب والاقتباس والأمر والنهي والنداء، ودراسة المحسنات البديعية وما اشتملت عليه الوصايا من ألوان بديعية ودلالتها، وما يتعلق بالصور البيانية مثل التشبيه والاستعارة والكناية، ثُمَّ جاءت **الخاتمة**؛ لتبينَ أهمَ ما توصلتُ إليه الدراسة من نَتَائجَ.

وقد وجَّهتُ بالدِّراسةِ إلَى منهجٍ بحثيٍّ يليقُ بمقامِ الإنتاجِ فيها، يتَّخذُ المسلَكَ **الوصفيَّ التحليليَّ** له طريقًا في إبانةِ عن فحواها؛ إذ إنَّ **المنهجَ الوصفيَّ** يُعنَى –تأصيلًا– بتوصيفِ النصِّ النثريّ وتصنيفِه، ثمَّ بتحليلِه تحليلًا موضوعيًّا وفنيّا، مع الاستعانة بباقي المناهج الأُخرى.

أما عن **الدراسات السابقة**؛ فقد حَظِيَ الأدبُ في عهد بني **أُمية** بعنايةٍ كبيرةٍ من قبل الباحثين، أهمها:

1- عاطف عبد اللطيف السيد، من وصايا الخلفاء في عصر بني أمية: دراسة فنية، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عدد 14، 1994م.

2- محمد محمود الغرباوي، من وصايا الخلفاء الأمويين والعباسيين ومعاونيهم لمؤدبي أولادهم، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عدد21، 2001م.

3- رضا محمد البلهاسي، أدب الخلفاء والولاة والقادة الأمويين مضامينه وخصائصه الفنية، رسالة ماجستير، جامعة المنيا، 2001م.

4- رابحة مصطفى ياسين أسعد، صور عبد الملك بن مروان في الدراسات الأدبية دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1996م.

ولا يخفى أنَّ تلك الدراسات السابقة عرضت مساحة ضيقة، ولا تفي بما تصبو إليه الدراسة الراهنة.

تمهيد

التعريف بعبد الملك بن مروان

هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويقال له أبو الأملاك؛ وذلك لأنه ولى الخلافة لأربع من ولده: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وكان يضرب بأمه المثل في حسن الخصال، وجميل الصفات، ولد سنة(26هـ) في خلافة عثمان بن عفان[i]. وكان عبد الملك ربعة من الرجال أقرب إلى القصر، مفتوح الفم، أبيض اللون، ليس بالنحيف ولا البادن، مقرون الحاجبين، كبير العينين، دقيق الأنف[ii].

بُويع لعبد الملك بن مروان بالخلافة سنة(65هـ) بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم، وكانت مُدَّة خلافته إحدى وعشرين سنةَ (65-86هـ)، ولقد أجمع الناس عليه بعد مقتل **عبد الله بن الزبير**؛ حيث استقلَّ بالخلافة على سائرِ البلادِ والأقاليمِ سنةَ ثلاث وسبعين هجرياً[iii]. وكان عبد الملك رجلاً قوياً وإدارياً عظيماً؛ فهو شخصيةٌ أذهلتْ العقولَ بمنهجها في القيادةِ والحكمِ، فهو قياديٌ بارزٌ، وفاتح منتصر.

ومن محاسنه أنَّه أوَّلُ من نقلَ الدواوين مِنْ الفارسيَّة والروميَّة إلى العربيَّة فلقد تطورتْ الدواوين في عهدِهِ تطوراً واضحًا، وأول من ضربَ الدنانير وكتبَ عليها القرآن ونقشَ على خاتمه "**آمنتُ**

بالله مُخْلِصًا"، وأوَّلُ من كَسَا الكعبة بالديباج، وأوَّلُ من سُمِّي في الإسلام **(بعبد الملك)**، ومن مساوئه أنَّه أوَّلُ من نهى عن الأمرِ بالمعروفِ في الإسلام، وقالَ في إحدى خطبِهِ: **(والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه)**، وأول من غدر في الإسلام؛ حيث غدر بعمرو بن سعيد بن الأشدق الأموي[iv].

استطاعَ **عبد الملك** بعقلِهِ وفِكْرِهِ وعلمِه أنْ يُكوِّنَ دولةً جديدةً في ملامِحها ومقوماتها، وأنْ تدينَ له الدولة الإسلامية بالولاء وترجعُ دولةً واحدة بقيادته أو تحت إمارته، فهو شخصيةٌ من الشخصيّاتِ المتفردة التي لا تتكرر مرارًا على مدارِ التاريخ.

أما **موته**؛ فقد مَاتَ وهو في الستين من عمره حتى مشهد وفاته لم يكن مشهداً طَبَيعيًا؛ فهو مليءٌ بالدروسِ والعِظَاتِ والعِبَر، فخَطَبَ خُطبة في مشهده الأخير قطعها ببكاء شديد وهو يتكلم عن مسيرته وما حققه إلا أنَّه أثناء الخطبة بَكى بكاءً شديداً، فختمها بقوله: "**يارب إنَّ ذُنُوبِي عَظِيْمة، وإنَّ قليلَ عفوِّكَ أَعْظَمُ منها، اللّهمَّ فامحُ بقليلِ عَفْوِّكَ عظيم ذُنُوبِي**" فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال: **(لو كان كلامًا يُكْتَبُ بالذَّهبِ لكُتِبَ هذا الكلام**"[v]. وعبد الملك مع شعوره بأنَّ هذه أيامه الأخيرة قال: ولدت في رمضانَ، وفطمت في رمضانَ، وختمت القرآن في رمضانَ، وأنتني الخلافة في رمضانَ، وأخشى أن أموت في رمضانَ، فمات في شوال سنة 86 من الهجرة وهو ابن ستين سنة، وقيل: ثلاث وستين سنة[vi].

تلقَّى العلمَ عن أشياخ المدينة وفضلاء الصحابة، كأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله وغيرهم من أكابر أصحاب رسول الله [vii]، وكان عبد الملك فقيهاً عالماً، وعاقلاً حازماً، وأديباً شاعراً، وخطيباً متمكناً. وما يؤكد ما ذهبت إليه قول د/ عمر فروخ: " وكان من أكثر الناس علماً وأبرعهم أدباً يطارح جلساءه حديث الشعر ويجول معهم في نقد الأبيات والمقطعات الشعرية، وعبد الملك هو الذي رد الأخطل إلى البلاط الأموي وجعله شاعر بني أمية، فأدى عمله هذا إلى اتساع فن النقائض أو الهجاء القبلي "[viii].

وكان آية في البلاغة والفصاحة وقوة الحجة، ومن أخبار فصاحته قول أبو الزياد: كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان[ix].

كما أشاد الشعبي بعلم ومعرفة عبد الملك إذ قال: ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه، إلا عبد الملك فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه[x].

وأول ما يدفعني للحديث عن عبد الملك الأديب المفوه اهتمامه بآلة البيان، وعقد المجالس الأدبية التي تمس الأدب والشعر، وكانت هذه المجالس ثمرة من ثمرات الحرية الأدبية والفكرية، وكان عبد الملك من أكثر خلفاء بني أمية اهتماماً بهذه المجالس التي قلت فيها المطارحات السياسية، واتسعت للمجالس الأدبية والنقدية[xi]، كما اشتدت عنايته باللغة العربية ونحوها وصرفها ووقفها ووصلها، وقد كان للنحو في نفس عبد الملك منزلة عظيمة، إذ قال: تعلموا النحو كما تتعلمون السنة والفرائض[xii].

كما اهتم عبد الملك بالشعر والشعراء، وكان يهتم بالشعر العفيف فيقول لمربي أولاده: "**وَروِّهِمْ من الشعرِ أَعفَّهُ**"[xiii]، وكان كثير التمثل بالشعر في خطبه ومكاتباته فهو أديب ينقد ويوازن ويعرف جيد الشعر وساقطه ورديئه، كما هو خطيب بارع له كثير من الخطب والوصايا التي تحث على طلب الأدب والعلم، ومن أمثلة ذلك قوله لبنيه: "**عليكم بطَلَبِ الأدَبِ فإنَّكم إنْ احْتَجْتُم إليه كانَ لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً** " [xiv]. فلم تخل كتب الأدب والنقد من الأخبار والقطع الأدبية الرائعة له التي تنم عن ذوق رفيع وحسّ أدبي مرهف، ومن تلك الأخبار أن عبد الملك كان في إحدى المجالس، وقال للحاضرين: ليقل كل منكم أحسن شعر سمع به، فرووا لامرىء القيس وطرفه والأعشى، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبد الملك: أشعرهم والله الذي يقول من **(بحر الطويل)**:

وَذي رَحِمٍ قَلمتُ أَظفارَ ضَغنِهِ بِحِلمِيَ عَنهُ وَهُوَ لَيسَ لَهُ حِلمُ

يُحاوِلُ رَغمي لا يُحاوِلُ غَيرَهُ وَكَالمَوتِ عِندي أَن يَعُرَّبِهِ الرَغمُ

والظاهر أن الذي أعجب عبد الملك المعنى الخلقي الذي ينطوي عليه هذا الشعر، وهو الإحسان إلى ذوي الأرحام والعفو عن سيئاتهم[xv].

ويستدلُ من ذلك أن عبد الملك كان أديباً فاضلاً محباً للأدب والشعر. ولعل من أهم تلك الآثار الأدبية التي تركها لنا (الوصايا).

مفهوم الوصية لغة واصطلاحاً:

الوصية لغة:

(وَصى) أَوْصَى الرَّجل ووصّاه: أي عهد إليه، وأوصيته ووصيته إيصاء وتوصية بمعنى: وتواصى القوم أي أوصى بعضهم بعضاً، وفي الحديث: استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوانٍ، والوصية هي ما أوصيت به[xvi].

ووردت في مقاييس اللغة: في باب الواو والصاد والحرف المعتل، أصل يدل على وصل شيء بشيء، ووصيت الشيء أي وصلته، والوصية من هذا القياس، كأنه كلام يُوصَى أي يُوصَل[xvii].

أما الوصية اصطلاحاً:

فهي لونٌ من ألوانِ النَّثر الفنيِّ القَديم، وعُرِفَ قديماً وعرفه العرب وتمرسوا به، وتناولوا فيه بعض جوانب حياتهم، وضمنوا نظراتهم الحكمية، وخطراتهم الذهنية، في الأخلاق والاجتماع[xviii].

والوصيَّة: هي فنٌ من فنون النَّثر العربيِّ، وقد عَرَفَها الإنسان منذ أقدم العصور، وهي كلام مستخلص من تجارب الحياة، ولا يتفوه بها إلا من عُرف بالحكمة بين الناس، ولكل وصية ثلاث ركائز رئيسة ترتكز عليها: المُوصي والمُوصى إليه والشيء المُوصى به، والوصيَّة إما أن تكون منطوقة أو مكتوبة، وتتضمن كلاماً بليغاً يوجهه المُوصي إلى من يريد نصحه وإرشاده، ومن ثم تُعدُّ الوصيَّة عهداً من المُوصي لمن يعقبه في السير على منهجه، والتزام ما يراه خيراً وصالحاً له في حياته. ولذلك فهي فنٌ يضاهي في أهميتها فن الخطابة والرسائل، وهي كل ما ينطق أو يكتب أو يوجه إلى الآخرين مشافهة أو تدويناً والغرض منها الحث على أمور واجب الالتزام بها أو النهي عنها.

المبـــحث الأول
المضامين النثرية

تميَّزَت وصايا عبد الملك بتعدد طرق مضامينها وأغراضها؛ نظراً لما يقتضيه المقام، فيختلف مضمون وبناء الوصية حين يكون لفرد وبين أن يكون الخطاب لمجموعة، فالمضمون هو الذي يحتم ذلك ويفرضه، فتمثلت في:

- الوصايا السياسية
- وصايا الخلفاء للولاة والأمراء والقادة
- الوصايا التربوية " هي وصايا الآباء إلى معلمي أولادهم "
- الوصايا الخلقية

الوصايا السياسية:

أصبح للعرب في هذا العصر– عصر بني أمية – دولة منظمة تحتاج إلى جهاز إداري كامل لتنظيم علاقتها مع جيرانها، فتعد هذه الوصايا الصورة الأولى التي كان الخلفاء يوصون

بها ذويهم أو عمالهم أو قادتهم، يرشدونهم فيها إلى الطريق التي تعينهم على إدارة الحكم، والسياسة التي يتبعونها. ومن هذا النوع من الوصايا وصية عبد الملك بن مروان لابنه الوليد وولي عهده يقول: " **يَاْ بُنيَّ، اعلمْ أنَّه ليسَ بينَ السُلطانِ وبينَ أنْ يَمْلكَ الرَّعيّةَ أو تَمْلكهُ الرعيةُ إلا حَزْمُ أو توانٍ** "[xix]. هذه الوصية على الرغم من قصر عباراتها، وقلة مفرداتها، إلا أنها تضمنت معانٍ كثيرة، ورسَمَت منهجاً قويماً في قيادة الرعية، فأراد عبد الملك أن يبين لابنه أن ملاك الأمر في الرعية هو الحزم والشدة وليس التهاون واللين، فالحاكم القوي يستطيع أن يملك رعيته ويسوسها. ووصى عبد الملك بن مروان ابنه الوليد لما عهد إليه دمشق، إذ قال:

" **يَاْ بُنيّ لأبيْك صَنَائِعُ، قَدْ رَسَخَتْ فِيْ المَجدِ أُصُولُها، وأَوْرَقَتْ فِيْ العُلَى فُرُوعُها، وأنشر عند النَّاس ذِكْرُها، فَلَاْ تُهْدمَنَّ مَاْ قَدْ شَرُفَ لَكَ بِنَاؤه، وَأَضَاءَ لَكَ ضِيَاؤه، فكَفَى من سُوء رأي المَرْء، وقَبِيْح أثره، وضَعَةِ نفسه أَنْ يُهْدَم ما قَدْ شُيّدَ له من فضيلةِ البناء، ورفيع الثناء، إيَّاك وأعراضَ الأحرار، فإنَّ الحرَّ لا يُرضيه عن عِرضه عِوَضٌ، واجتنبْ العُقُوبَةَ فِيْ الأبْشَارِ، فإنَّه وتْرٌ مطلوبٌ، وعارٌ باقٍ، ولا يمنعْك من ذي فَضلٍ، سَبَقَتْ إليه صَنِيْعةُ غيرك، أنْ تَصْطَنعه، فإنَّ صَنيعة ذي الفضل شكرُ تستوجبُه، وكنزٌ تدَّخره، واستعملْ أهلَ الفضل دون أهل الهُون، ولا تعزِلْ إلّا عن عجز أو خيانة، وليكنْ جُلَساؤُك غيرَ أسنانك، فإن الشَّبابَ شُعبةٌ من الجنون، وإنْ نازعتْك نفسُك على أخذ شيءٍ من المال، فلا يكنْ خصمُك إلَّا بيتَ المال، وليكنْ رسولُك فيما بيني وبينك مَنْ يفهم عني وعنك، وإذا كتبتَ كتاباً فأكثر النظرَ فيه، فإن الكتاب موضعُ عقل الرجل، ورسوله مَوْضِعُ عقله، وأستودعُك الله العظيم**"[xx].

وإذا نظرت إلى ما تتضمنه هذه الوصية، يلمحُ أنَّها من خير الوثائق السياسية التي خلفها لنا العصر الأُمويّ، فهي تكشفُ عن حِنْكةٍ سياسيةٍ في فن الحكم والإدارة، وخبرة في معاملة الرعية، وقد حاول الوليد العمل بهذه الوصية من بعده، وترسم السياسة التي تضمنتها، فقد **تضمنت ست نصائح:**

1- أن يحفظ الحاكم اللاحق مجد الحاكم السابق لاستقرار الدولة

2- أن يتجنب معاقبة الأشراف الأحرار

3- أن يستعمل أهل الفضل الكرام ولا يعزل إلا العجزة الخونة

4- وأن يجالس ذوي العقول من أشراف الكهول

5- وأن يتجنب المال العام ولا يشتته في غير حق

6- ألا يخاطب القادة والأمراء إلا برسالة مدققة، أو رسول أريب

كما أوصى عبد الملك أخيه وولي عهده عبد العزيز بن مروان، عندما قدم إليه من مصر في بعض الأمور، فلما أراد الشخوص إليه قال له: انظر ما أوصيك به فاجعله لك إماماً: " **ابْسُطْ بِشْرَكَ، وألنْ كنفكَ، وآثِرِ الرِّفْقَ في الأمور، فهو أبلغُ بك، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يَقِفَنَّ أحدٌ ببابكَ إلا أعلمكَ مكانهُ، لِتَكُونَ أنت الذي تأذن له أو تَرُده، وإذا خرجت إلى مَجْلِسِك فابدأْ بالسلام يأنسوا بك، وتثْبُت في قلوبهم محبتكَ، وإذا انتهى إليك مُشْكِل، فاستظهر عليه بالمشاورة، فإنها تفتح مغاليق الأمور، وإذا سخِطت على أحد فأخِّر عقوبته، فإنك على العقوبة بعد التوقف عنه أقدرُ منك على ردِّها بعد إمضائِها**" [xxi].

هذه الوصية تضمنت عديد من النصائح والتوجيهات لصفات الحاكم الجدير بولاية العهد، ومنها: العفو والرفق والبشر واللين في الأمور، وحسن اختيار الحاجب؛ لأنه اللسان المعبر عنك، والبدء بالسلام في الكلام، مع الأخذ بالمشاورة والرأي الآخر، وعبر عن معانيه ببساطة وعفوية صادقة. كما أنَّها عَكَسَتْ طبيعة الظروف السياسية التي تواجه دولة عبد الملك، فعلى الصعيد السياسي واجهت دولة عبد الملك كثير من الثورات، مثل حركة عبد الله بن الزبير، وحركة عمرو ابن سعيد الأشدق، وحركة المختار الثقفي، وحركات الخوارج، وحركة عبد الرحمن بن الأشعث، وقَدْ بَذَلَ عبد الملك جهوداً مضنية لفرض سيطرته على الخلافة والبلاد، من خلال وحدة أقاليمها، وحدودها.

وأوصاه ثانية: حين وجهه إلى مِصْرَ فقال: **(تَفَقَّدْ كَاتِبَكَ وَحَاجِبَكَ، وجَلِيسَكَ، فإنَّ الغائبَ يخَّبُرهُ عنك كاتِبُكَ، والمتوسَّمُ، يَعْرِفُكَ بِحَاجِبِكَ، والدَّاخلُ عليكَ يُعْرِفُكَ بِجَليسِكَ)** [xxii].

هذه الوصية لا تختلف عن سابقتها من حيث الجوهر والمضمون، فقد رَسَمَ لأخيه منهجاً في السلوك يُحسن به أَنْ يَنْهجه، فَأَوْصَاه عبد الملك بثلاث لا غنى للحاكم عنهم الكاتب والحاجب والجليس؛ لأنَّ الغَائِبَ يعْرِفُ من أحوال الملك مَا أراد الكاتب إيضاحه، والمتوسم يعرف الوالي وقدره من حاجبه، والدَّاخل يَنْظر إلى جلساء الوالي، فإذا كانوا من العلماء وأهل الفضل، تَهَيَّبَ المجلس وصاحبه، وإذا كانوا من أَوْسَاط النَّاس؛ أي الرعية، اِسْتَهَانَ بالمَجلسِ ومَنْ فيهِ، وَكَشَفَ

عن خَلَلِ السُّلْطَانِ، وقِلّة خبرته ودِرَايته. فهذه الوصايا كشفت عن خبرة عبد الملك بشئون الحكم والسياسة.

الوصايا الخلقية:

هي التي تُهذِّبُ النَّفسَ وتُنَقّي القلبَ وَتَسْمو بالإنسان إلى آفاقٍ بعيدةٍ، والغاية منها النُّصح والإرشاد، فنراهم يوصون أبناءَهم وذويهم بالتحلِّي بالقيم، والأخلاق الكريمة والصِفاتِ النبيلةِ.

ومن هذه الوصايا وصيةُ عبد الملك بن مروان لبنيه وأهل بيته فيقول: " **يَا بني مَرْوَان، ابْذُلُوا مَعْرُوفَكُمْ، وكُفُّوا أذاكُمْ، واعْفُوا إذا قدَرتُمْ ولا تَبْخَلُوا إذا سُئِلتُمْ، ولا تُلْحِفوا إذا سَألتُمْ، فإنه من ضَيَّقَ ضَيَّقَ عليه ومن وَسَّعَ وُسِّعَ عليه**"[xxiii].

هذه ميزة من الميزات التي عُرِفت عن عبد الملك خلال فترة خلافته؛ إذ عُرِفَ بالبذل والعطاء، والحزم والشدة في مواضعها، واللين والعفو في مَوَاضِع أُخر، ومن خلالهما استطاعَ من تآلف قلوب المسلمين والانصياع لحكمه؛ لأن هذه السياسة قد أوتت ثمارها فكانت أمنيته أَنْ تستمر من بعده.

ووصى عبد الملك أبناءَه حين حضرته الوفاة بوصية طويلة جداً، ولكنَّها حَمَلَتْ عديد من النَّصائحِ والإرشَاداتِ التي مِن الواجب عليهم اتباعها، وإليكم نص الوصية: " **أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله، فإنَّها عِصْمةٌ باقيةٌ، وجُنَّة واقيةٌ، والتَّقوى خيرُ زادٍ وأفضلُ في المَعَاد، وأحْصَنُ كَهفٍ، وأَزْيَنُ حِليةٍ، لِيعطفَ الكبيرُ منكم على الصغيرِ، وليعرفَ الصغيرُ منكم حقَّ الكبير، مع السلامة الصدورِ والأخذ بجميل الأمور، فإنّكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاءَ، وهابتكم الأعداء، إيّاكم والتّباغي والتَّحاسُدَ، فإنَّ بهما هلكَ الملوكُ الماضون، وذوو العِز المُتَكبِّرون، انظروا يا بَنِي، مَسلمَةَ ابن عبد الملك، فاصدُروا عن رأيه، فإنَّه نابكمُ الذي تفترُّون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به، وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكونوا عند القتال أبراراً، وعند المعروف مناراً، وكونوا بني أمّ بررة، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شِدَّة ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَه إلى الوليد فقَالَ: لَا أَلْفينك يَا وَليد إذا وَضَعْتَنِي في حُفْرَتِي تُعْصَر عَيْنَيْكَ كَمَا تَفْعلُ الأُمّة بَلْ شَمَّر واتَّزر وَالبسْ جلد نِمر، وادعُ النَّاسَ إلى البَيْعَةِ، فمَنْ قَالَ برَأْسِهِ هكذا فقُلْ بالسَّيف هكذا، أُوصِيْك بَأخِيْك عبد الله بن عبد الملك وبعمر بن عبد العزيز خيراً، لا تعزلهما ولا تستبدل بهما،**

وأوصيك بابن عمنا هذا خيراً – يعني علي بن عبد الله بن العباس – فأمَّا الحَجَّاج فلست تستغني عنه....." [xxiv].

وتُعدُّ هذه الوصيَّة آخِر مَاْ أَوْصَى بهِ عبد الملك وآخر وَصيَّة وجَهَها عبد الملك إلى أولاده ليعملوا بها من بعده، ويُلحظ في هذه الوصيَّة أَنَّ عبد الملك قَدْ جَمَعَ فيها بين الجانب الخلقي والجانب السياسي، ففي الجُزء الأوَّل أوْصَى أبناءَه بالتقوى والخوف من الله، ووصفها بأنها عِصمة باقية، وجَنَّة واقية تعصم الإنسان من الآثام، وأنَّها خيرُ زاد وأفضل في المعاد، ونَصَحَهم بعد ذلك بأنْ يَعطفَ الكبير على الصغير، ثم انتقلَ إلى الجانب السياسي والذي يتمثل في: البعد عن الظلم والتحاسد فيما بينهم، فقدْ هَلَكَ أقوام قبلهم، كما أكَّد عبد الملك لأولاده بضرورة الرجوع إلى ولده مسلمة، وذلك لما لديه من خبرةٍ ودراية بأمور الحَرب فهو فارسٌ بني أُميَّة وسيفها الضارب، كما أوصاهم بابن عمهم عمر بن عبد العزيز، وذلك لدينِهِ وعلمِهِ وفضلِهِ، ولم ينسَ الخليفة عبد الملك أن يوصي الوليد بالحجاج بن يوسف الثقفي ووصفَه بأنَّه لا يمكن الاستغناء عنه، فعبد الملك يلخص في تلك الوصية خلاصة تجاربه التي استقاها خلال أكثر من عقدين من الزمن. وتُعدُّ هذه الوصيَّة من أشهر وصايا عبد الملك التي حدد فيها لولي عهده الصفات والميزات التي يجب أن يتحلى بها، والأسس التي عليه التزامها واتباعها.

وصايا الخلفاء للولاة والقادة:

أوصى عبد الملك أحد قواده، حين سيره إلى بلاد الروم، فيقول: " **أَنْتَ تاجرُ اللهِ لعبادِه، فكُن كالمُضارِب الكيِّس الذي إنْ وَجَدَ ربْحاً اتّجَر، وإلاّ تحفَّظَ برأسِ المالِ، ولا تطلُب الغَنِيمةَ حتى تُحْرِزَ السَّلامة، وكُنْ من احْتيالِكَ على عَدُوِّكِ، أشدَّ حذراً من احتيال عَدُوِّك عليك**"[xxv].
وبلا ريب فإنَّ هذه الكلمات تنم عن فكر سياسي ناضج وعقلية إدارية بارعة، فأبدى عبد الملك في هذه الوصية خوفاً على جنوده؛ حتى يُخيّلَ إليك أنَّه والد يودعُ أولاده، لا قائد يشجع أجناده، ويطلب منه عدم طلب الغنيمة حتى تحقق النصر والسلامة، فالظفر هو الغاية الأولى وليس الغنائم، إلا بعد الأخذ بالحيطة والحذر.

كما أوصى عبد الملك العامة من الناس بوصية قصيرة، يقول فيها: " **ثلاثةٌ لا يَنْبَغِي للعاقل أنْ يَستخِفَّ بهم: العلماءُ والسُّلطانُ والإخوانُ، فمن استَخَفَّ بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسدَ مُروءتَهُ**"[xxvi]. فهذه الوصية إن كانت قليلة المبنى، فإنها كثيرة المعنى حيث نَصَحَ عبد الملك الناس بعدم الاستخفاف بالعلماء والسلطان والإخوان.

وأوصَى عبد الملك الشعبي، قائلاً: " **يا شَعْبيُّ لا تساعدْني على ما قَبُح، وَلا تَرُدَّ علىَّ الخطأ في مجلسي وَلا تكلَّفني جوابَ التشميت والتهنئة، ولا جوابَ السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير، وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما أستَطْعِمُك، واجعل بدل المدح لي صوابَ الاستماع مني، وأعلم أنَّ صوابَ الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سَمِعْتني أتحدث فلا يفوتنَّك منهُ شيء، وأرِني فهمك من طَرْفك وسَمْعك، ولا تُجْهد نفسَك في تطرية جوابي ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي، فإن أسوأ الناس حالاً من استكد الملوك بالباطل، وإن أسوأ الناس حالاً منهم من استخف بحقهم، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويُسقط حق الحرمة، فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه، وعند إصابته فرصة**"[xxvii]. ففي هذه الوصية الموجزة بمعانيها والوافية بألفاظها، طلب منه أن لا يساعده على ما قبح، كما نهاه أن يقول له أخطأت في ملأ، ودعاه إلى رفع الشكليات، ودعاه إلى الحديث إذا أحسَّ أنَّ الخليفة مُقبل عليه، فإنْ بدرت من الخليفة علامة على قلة إقباله، أمسك عن الحديث، وأن لا يمدحه، إنما يستمع ويحسن الاستماع إليه، ويعلمه أنَّ الاستماعَ فنٌ، كفن الكلامِ، وإذا سمعه يتحدث، فليقبل عليه بسمعه وبصره، وينهاه عن التملق إليه طمعاً في عطية، ولكن إنْ دعاه إلى رفع الشكليات فلا تحدثه نفسه بالاستخفاف بحقه، ويحضه على الصَّمت عندما يكون مناسباً، لأنَّ الصَّمتَ في موضعه أبلغ من الكلام في موضعه، فزوده بالنصح والإرشاد في هذه الوصية. وقد عبّر عبد الملك عن معانيه بأسلوب بسيط مباشر، وابتعد عن زخرف القول وترصيعه.

الوصايا التربوية:

هي وصايا الآباء والخلفاء إلى مربي أولادهم، وكان عبد الملك من أكثر الناس حرصاً على تعليم أبنائه العلم والأدب، " وعلى الرغم من تبحر المؤدبين في العلوم وإلمامهم بكثير من الفنون إلا أن الخلفاء ومعاونيهم لم يتركوهم يؤدون واجبهم من تلقاء أنفسهم، وإنما زودوهم بنصائح وأوامر، تمثلت في عدة وصايا أدبيَّة، حَمَلَتْ في حياتها المنهج العلمي الذي يرتضونه، ..."[xxviii]. ومن هذه الوصايا وصيّة عبد الملك لمؤدب بنيه؛ إذ قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده:

" **عَلّمْهُمْ الصدْقَ كما تُعلّمهُم القرآنَ؛ وجَنّبْهُم السفلةَ فإنَّهم أسوأ النَّاسِ رعة وأقلهم أدباً، وجَنّبْهم الحشم فإنَّهم لهم مفسدة؛ وأحف شُعورهم تغلظ رقابهم، وأطْعِمْهم اللحم يَقْوَوْا؛ علمهم الشِّعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عرضاً ويمصوا الماء مصاً ولا يعبوه عباً؛ وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا**

عليه"[xxix]. تُعدُّ هذه الوصية خُطَّة تربوية كاملة، فقد جمعت كثير من جوانب الخير؛ حيث تناولت الجانب الخلقي والاجتماعي معًا، فقد أعطى عبد الملك الأخلاق أهمية كبيرة في وصاياه، وذلك لحرصه على طلب العلم والأدب، ونتبيَّن ذلك من خلال قوله: **(علّمهم الصدق والقرآن)** فهو يهتم بتعليمهم الصدق كاهتمامه بتلقينهم أصول دينهم، أما الجانب الاجتماعي فتمثل في قوله: **(وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة)**، فدعاه إلى تجنيبهم الاختلاط بالسفلة والخدم؛ لأنَّهم مفسدة، كما أنه التفت إلى زيهم، فأمره بقص شعورهم، ولم يغفل عن الاهتمام بالجانب الصحي، فأمره بإطعامهم اللحم حتى يقووا، وعرج إلى الجانب الثقافي (الأدبيّ)، فنجد عبد الملك في هذا الجانب كان حريصاً على تعليم أولاده الشعر؛ وذلك لأنَّه يشعل فيهم روح الحماس، ويربي فيهم الصفات الجليلة، فوصى مؤدب أولاده بتعليمهم الشعر، واختتم الوصية بقوله **(وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه)**؛ أي إذا أردت أن تعاقبهم، فعاقبهم في ستر لا يراهم الناس حتى لا ينتقص قدرهم بين الناس، فهي وصية جامعة شاملة عديد من الجوانب[xxx].

المبحث الثاني

السمات الفنية لوصايا عبد الملك بن مروان النثرية

أولاً: الأساليب اللغوية

عَرَّفَ أحمد الشايب الأسلوب: بأنه هو طريقة التعبير أو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير[xxxi] فللأسلوب قوةٌ تجعله قائماً بذاته، ويُعدُّ وسيلة لنقلِ المعاني، وهو النمطُ الذي يختاره الموصي في استخدامِ اللُّغة وبناءِ العبارة واختيارِ الألفاظِ، فالأسلوب هو الطريقة التي يعبر بها الأديب عن نفسه في تناوله لموضوع ما ويختلف باختلاف الأديب وطريقته في التعبير، أما اللُّغة: فتعدُّ من العناصر الرئيسة في بناءِ النصوصِ الأدبيَّة، ولغة الأديب تعكس الملكة التي يتمتع بها، أما إذا عرجت للحديث عن لغة عبد الملك بن مروان فإننا نقول إنَّها مَالتْ إلى الفصاحةِ والبيانِ.

وقد تعددت الظواهر اللُّغوية في وصايا عبد الملك ولعل أهمها: الإيجاز والإطناب، والاقتباس، وبعض أساليب الإنشاء كالأمر والنهي والنداء.

الإيجاز والإطناب

من خلال اطلاعي على وصايا عبد الملك وجدت أنَّها قد مالت إلى الإيجاز أكثر من الإطناب فهو الطابعُ الغالبُ عليها، وذلك لما لعبد الملك من بلاغة وبيان وبراعة في اختيارِ الألفاظِ، فقلَّ كلامُه وتجنبَ الترددَ والحشوَ، فالإيجاز: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظٍ وافيةٍ بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح[xxxii]، وعرفه السكاكي (ت626هـ): بأنَّه أداءُ المقصود من الكلام بأقل من العبارات المتعارفة[xxxiii] فالإيجاز هو وضع المعاني الكثيرة تحت ألفاظ قليلة وافية دون الإخلال بالمعنى، أمَّا الإطناب: " فهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[xxxiv].

ومن الوصايا التي غلب عليها أسلوب الإيجاز، وصيته لابنه الوليد فهي في سطر واحد: "**يا بنيَّ، اعلمْ أنه ليسَ بينَ السُلطانِ وبينَ أنْ يملكَ الرعيّةَ أو تَمْلكهُ الرعيةُ إلا حَزْمٌ أو توانٍ** ". جاء أسلوبه صافياً عذباً في تلك الوصية، فاستخدم قليلا من الألفاظ، وكثيرًا من المعاني الموجزة؛ لما فيها من البلاغة وقوة البيان؛ وهي سمة من سمات هذا العصر.

ومن ذلك أيضاً وصيته لبنيه فهي في سطرين: " **كلُكم يَتَرَشَّحُ لهذا الأمرِ، ولا يَصْلُحُ له منكم إلاَّ مَنْ كانَ له سَيْفُ مَسْلولُ، ومالُ مَبْذُولُ، وعَدْلُ تَطْمئنُّ إليه القُلوبُ**"[xxxv]. جاءت الوصية موجزة بليغة، مكثفة المعاني، قصيرة الجمل، تعبر عن مدلولات بلاغية وواضحة.

وفي موضع آخر وصيته لأخيه عبد العزيز حين وجهه لمصر فأوصاه في سطرين أيضاً قائلاً له: " **تَفَقَّد كاتِبَكَ وحاجبَكَ، وجَلِيسَكَ، فإنَّ الغائبَ يخَّبُرهُ عنك كاتِبُكَ، والمتوسَّمُ، يَعْرِفُكَ بِحَاجِبِكَ، والداخلُ عليكَ يُعْرِفَكَ بِجَليسِكَ** ". فينصحه عبد الملك بالحَيْطة والحذر مع الأخذِ بزمامِ الأمور، وقد أوجزَ وصيته ما أمكن، فعبَّر بألفاظٍ قليلة عن معانٍ كثيرة.

ومنه أيضاً وصيته لقائد له سيره إلى بلاد الروم وهي غاية في الإيجاز:" **أنتَ تاجرُ اللهِ لعبادِه، فكُن كالُمضارِب الكيِّس الذي إن وجد ربْحاً اتّجَر، وإلاّ تحفَّظَ برأسِ المالِ، ولا تطلُب الغَنِيمةَ حتى تُحْرِزَ السَّلامة، وكُنْ من احْتيالِكَ على عَدُوِّكِ، أشدَّ حذراً من احتيال عَدُوِّك عليك** ". يُلاحظ في تلك الوصية الإيجاز الشديد وذلك يتناسب مع تقديم الوصية لمن يخرج للحرب، فالوقت له أهميته في تحقيق النصر وكذلك الألفاظ التي استخدمها، فاختار من الألفاظ ما تآلفت حروفها، وانسجمت مع ما حولها[xxxvi].

ووجدت القليل من الوصايا التي يغلب عليها أسلوب الإطناب ومن تلك وصية عبد الملك لأبنائه حين حضرته الوفاة[xxxvii]، ووصيته لابنه الوليد لما عهد إليه دمشق[xxxviii]، ووصيته للشعبي[xxxix].

ومن خلال دراستي لوصايا عبد الملك اتضح لي أنَّ أسلوبه في وصاياه اتسمَ بالإيجاز، فقد جاءَ صافياً عذباً، وجاءت الجمل قصيرة متوازنة، وعبر عن معانيه بعفوية وبساطة صادقة، فالسمةُ التي طبعت وصايا عبد الملك بطابعها وميزتها عن سواها هي الإيجاز في التعبير، والاقتصاد في الألفاظ دون أن تخل بالمعنى، فقد اختار من الألفاظ ما فصح لفظه وبان معناه دون أن يسف أو يتوعر.

أسلوب النداء:

النداء: هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب كلمة (أدعو) ملفوظاً به[xl] ولم يكثر عبد الملك من النداء في وصاياه، وذلك لما يقتضيه مقام الموصي وموضوع وصيته، ولقد غلب أسلوب الأمر والنهي على وصاياه، فلم نجد النداء إلا في أربع وصايا، وصدر النداء بعد أنْ أسقط المقدمات في مطلع الوصية ولم يتكرر النداء وكأنه يريد جذب انتباه المخاطب فقط لما يقول.

ومن النماذج الدَّالة على النداء، قوله في وصيته لبنيه ولأهل بيته[xli] في قوله: **(يَاْ بني مَرْوَان، ابْذُلُوا مَعْرُوفَكُمْ، وكُفُّوا أذاكُمْ،...)**، استخدم أداة النداء (يا) في نداء القريب وذلك؛ لإفادة معنى التوكيد في تنبيههم وإثارة استيقاظهم لما يدعو إليه من نصائحَ وتوجيهاتٍ.

كما بدأ وصيته لولي عهده حين ولاه أمر دمشق بأسلوب النداء في قوله[xlii]: **(يا بني لأبيك صنائع قدْ رَسَخَتْ في المجد أُصُولها، ...)**. النداء هنا موجه للوليد بنية النصح والإرشاد واستهل وصيته بالنداء للبعيد رغم قرب المنادى منه؛ وذلك ليلفت انتباهه لما يلقى إليه باهتمام، فيعمل بمقتضاه.

وفي وصية أخرى لابنه الوليد[xliii] بدأها بأسلوب النداء في قوله: **(يابني، اعلمْ أنَّه لَيْسَ بين السُلْطَان، وبين أنْ يَمْلُكَ الرَّعيَّة أَوْ تَمْلكَه الرَّعيَّة إلا حَزْمٍ أَوْ تَوَانٍ)** فالنداء هنا غرضه النصح والإرشاد.

كما جاء النداء في وصيته للشعبي في قوله[xliv]: **(يا شعبي لا تُسَاعدَنِي عَلَى ما قَبُحَ، ولا تَرُدَّ عَلَيَّ الخطأ في مَجْلِسِي، ولا تُكَلِّفَنِي جَوَابَ التَّشميت والتهنئة، ولا جَوَابَ السُّؤال والتعزية...)**. فالنداء هنا قد اتخذ شكلاً من أشكال التحذير؛ فإذا تتبعتُ الكلام الذي يتلو النداء مباشرة وجدته يقع بين النهي والزجر، وعبّر عبد الملك عن معانيه بأسلوب بسيط مباشر يستميل المتلقي ببراعة. ومن ثم استُهل النداء في الأربع وصايا بأداة النداء للبعيد، ومن الملاحظ أنَّه كان يعمدُ إلى نداء القريب بأداة النداء للبعيد، حيث ينتجُ عن ذلك عدة دلالاتٍ منها:

1- دلالة رفعة وعلو مكانة " المنادى " وهو ابنه الوليد.

2- دلالة التحذير والزجر والتوبيخ.

أسلوب الأمر والنهي:

يندرجُ أسلوبا الأمر والنهي ضمن الإنشاء الطلبي، فالأمر هو: طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وقد عرفه العلوي (ت749هـ) بأنَّه (صيغة تستدعي الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء)[xlv] وقد أكثر عبد الملك من استخدامه الأمر في وصاياه، وتنوعت صيغ الأمر بين فعل الأمر والفعل المضارع المقرون بلام الأمر، ومن النماذج الدالة على استخدامه الأمر في وصاياه، الأمر في وصيته لأخيه عبد العزيز بن مروان، فلقدْ كَثُرَ الأمر فيها بكثرة ملحوظة مما يدل على حِرْصِهِ على وضع سياسة عامة لأخيه يهتدي بها في ولايته فيقول له: " **ابسُط بِشْرَك، وَأَلِنْ كَنَفَكَ، وَآثِرْ الرِّفْقَ فِيْ الأُمُورِ، فهو أَبْلَغُ بِكَ، وَانْظُرْ حَاجِبَكَ فليكُن مِنْ خَيْرِ أَهْلِكَ، فإنَّه وَجْهُكَ ولِسَانُكَ...، فَاستَظهِر عليه بالمُشَاوَرَةِ، فإنَّها تَفْتَحُ مَغَالِيْق الأُمُورِ المُبْهَمَةِ، واعْلَمْ أَنَّ لَكَ نِصفَ الرَّأيِّ ولأَخِيْكَ نِصْفه، ولن يُهْلَكَ امرؤٌ عن مشورة، وإذا سَخَطتَ عَلَى أَحَدٍ، فَأَخِر عُقُوبَتَه، فإنَّك عَلَى العُقُوبةِ بعد التَّوَقُّفِ عنها أقدرُ مِنْك على رَدِّها بَعْد إِمْضَائِها**"[xlvi]. والكاتب هنا استخدم صيغة الأمر؛ فكان أسلوبه مصحوباً بنية النصح والإرشاد وإفادة المتلقي، فكثرة أسلوب الأمر وتكراره للإلزام والتأكيد عليه لما يقتضيه المقام.

وإذا نظرت إلى وصيته لمؤدب بنيه يلمح أنَّه قد استخدم صيغة الأمر بغرض النصح والإرشاد وليكون إلزام وتأكيد لمن يؤدب ولده فيقول له: " **عَلِّمْهُمْ الصِّدْقَ كَمَا تُعَلِّمْهُمْ القُرْآنَ؛ وَجَنِّبْهُم السّفلة فإنَّهم أَسْوَأُ النَّاس رعةً وأقلّهم أدباً، وَجَنِّبْهُمْ الحشم فإنهم لهم مفسدة؛ وأحف شعورهم**

تَغلَّظ رِقَابهم، وأطعمهم اللَّحم يقووا؛ عَلِّمهم الشِّعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يسْتَاكوا عرضاً ويمصوا الماء مصاً ولا يعبوه عبَّاً؛ وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب، فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه"[xlvii]. فبدأ وصيته بصيغة الأمر وذلك ليلزمه باتباع أوامره، فيأمره بأن يربيهم على التمسك بالمثل ومكارم الأخلاق والقيم العربية الأصيلة، ولقد أبدى عبد الملك في هذه الوصية حرص على أبنائه، ورغبة في تعليمهم الجيد من الصفات الحسنة.

ومن الأوامر التي وردت في وصيته الأخيرة التي قالها حين حضرته الوفاة، قوله: " **أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله، فإنَّها عِصْمةٌ باقيةٌ، وجُنَّة واقيةٌ، والتَّقوى خيرُ زادٍ وأفضلُ في المَعَاد، وأحْصَنُ كَهفٍ، وأَزْينُ حِليةٍ، ليعطفَ الكبيرُ منكم على الصغيرِ، وليعرفَ الصغيرُ منكم حقَّ الكبير، مع السلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور، فإنَّكم إذا فَعلتُم ذلك كنتم للعزِّ خلقاء، وهابتكم الأعداء، إيّاكم والتباغي والتَّحاسد، فإنَّ بهما هَلَكَ الملوك الماضون، وذوو العز المتكبرون، انظروا يابني، مسلمة بن عبد الملك، فاصدروا عن رأيه، فإنَّه نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به وأكرموا الحجاج فإنَّه الذي وطأ لكم المنابر، وكَفَاكُم قحم تلك القناطر، كُونوا أولاداً أبراراً، وفي الحربِ أحراراً، وللمعروف مناراً، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شدة** ". وقد استخدم أسلوب الأمر ليلتزموا بما يأمرهم به، وينتهوا عما ينهاهم عنه، فيأمرهم بأن يعطف الكبير على الصغير، ويوقر الصغير حق الكبير، كما يأمرهم باللجوء إلى مسلمة والحجاج لما لهم من خبرة ودراية في مناحي الحياة السياسية، ويأمرهم بالبر والمعروف، واللين وقت الحرب والقتال.

ومن ذلك –أيضاً– وصيته لبنيه ولأهل بيته فيقول:" **يَا بني مَرْوَان، ابْذُلُوا مَعْرُوفَكُمْ، وكُفُّوا أذاكُمْ، واعْفُوا إذا قدَرتُمْ....**". فالأمر هنا غرضه النصح والإرشاد بالبذل بالمعروف وكف الأذى والعفو عند المقدرة وقد تكرر هذا المعنى في كل وصية يوجهها لأهل بيته مما يؤكد إلزام اتباع هذا الأمر.

أما النهي: فهو طلب الكف عن فعل ما والامتناع عنه على وجه الإلزام، وفي ذلك ما يشير إلى قدرته وبراعته، في استعمال أسلوبي الأمر والنهي وتوظيفهما بهذا الشكل الرائع، ومن الأمثلة الدالة على أسلوب النهي في وصاياه.

استخدام النهي في وصيته لابنه الوليد حين ولاه أمر دمشق في قوله:(فلا تهدمن ما قد شرف لك بناؤه)، وفي موضع آخر من الوصية يقول (فإن الحر لا يرضيه عن عرضه عوض، ولا يمنعك من ذي فضل، سبقت إليه صنيعة غيرك، أن تصطنعه، فإن صنيعة ذي الفضل شكر تستوجبه، وكنز تذخره، واستعمل أهل الفضل دون أهل الهون، ولا تعزل إلا عن عجز أو خيانة). فينهاه ويحذره من هدم ما وصل إليه عبد الملك من نفوذ ومجد، فالنهي هنا غرضه النصح والإرشاد مصحوباً بنية التهديد والزجر.

كما يُلمح أسلوب النهي في وصيته لأهل بيته في قوله[xlviii]: (...**ولا تَبْخَلُوا إذا سُئِلتُمْ، ولا تُلْجِفوا إذا سَألتُمْ، فإنه من ضيق ضيق عليه، ومن وسع وسع عليه**). فينهاهم عن البخل وعدم الشح عند المسألة، فإنها من الصفات المذمومة، ويحثهم على الجود والسخاء.

وكَثُر النهي في وصيته لرجلين أرادا أن يكونا من خاصته فيقول لهما[xlix]: " **إنّي قد عَزَمْتُ على أنْ تُجالسانِي وتُسَامراني، فلا تَمْدَحاني في وَجْهِي، فإني أعْلَمُ بنفسي منكما، ولا تطريا عندي فاسقاً فأمقتكما، ولا ظنيناً فأستَغِشُّكما، ولا تَكْذِباني، فإنَّه لا رأيَ لِمَكْذُوبٍ، ولا تَغْتَابَا عندي أحداً وقُولا بعدَ ذلكَ ما شِئْتُمَا** ". ففي هذه الوصية ينهاهم عبد الملك عن التملق والنفاق في وجهه، فهو يعلم ما في نفوسهم، وينهاهم عن عدم ذكر فاسق في مجلسه فيغضب عليهما، وعدم الكذب عليه، وعدم الغيبة والنميمة في مجلسه فهذه الصفات إن وجدت في شخص قربه عبد الملك منه ومن مجلسه.

ويبدو لجوء عبد الملك إلى استخدام الأمر والنهي في وصاياه بشكل ملحوظ، يرجع لسببين؛ السبب الأول: شعوره بالمسؤولية تجاه أبنائه، وقواده، وشعوره بالخوف على ملكه وخلافته من الضياع من بعده فيقدم لهم النصائح بصيغة الأمر للإلزام والتأكيد؛ لتأكيد سلطانه عليهم.

السبب الثاني: شعوره بالنفوذ والقوة والهيمنة من خلال إعطائه الأوامر للآخرين.

الاقتباس

هو تضمين الكلام آية قرآنية، أو حديث نبوي شريف، ولجأ عبد الملك إلى الاقتباس؛ حتى يكون كلامه أكثر تأثيراً وإقناعاً.

الاقتباس من القرآن الكريم:

ومن أمثلته ما جاء في وصيته لأولاده حين حضرته الوفاة: إذ قال: **(أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله، فإنَّها عِصْمةٌ باقيةٌ، وجُنَّة واقيةٌ)** فالاقتباس هنا واضح وجلي فاستشهد في وصيته بقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ النساء: 131**

فبدأ وصيته بدعوة أبنائه إلى التقوى والخوف من الله ووصفها بالعصمة الباقية والجنة الواقية، فنجد أن نص الوصية يتلاءم مع قول الله تعالى.

وفي موضع آخر من الوصية يؤكد على أبنائه بالتحلي بمكارم الأخلاق وجليل الصفات في قوله: **(والتَّقوى خيرُ زادٍ وأفضلُ في المَعَاد)** مقتبس من قوله تعالى **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: 197**

وهذا الاقتباس غير المباشر لجأ إليه عبد الملك في مستهل الوصية من أجل تقوية المعنى والفكرة التي قصدها؛ حيث وضع الآيات ووظفها في وضعها الملائم لها من الوصية. ويلحظ أنَّه لم يكثر من الاقتباس من القرآن الكريم؛ وذلك لأن دولة بني أمية لم تقم على الدين بل قامت على أنقاض الفتنة، واستلاب الحكم.

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف:

أكثر عبد الملك من الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة في وصاياه، وهذا أمر منسجم ومتناغم مع غرضه من الوصية؛ فالأحاديث النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله، ومن أمثلة الوصايا التي استشهد فيها بالحديث النبوي، ما جاء في وصيته لمؤدب ولده حيث قال: "**إنِّي قَدْ اخْتَرْتُك لتأدِيبِ وَلَدي، وَجَعلتُكَ عَيْني عليهم وأَميني، فاجْتَهد في تَأْدِيبِهم، ونَصِيحتي فيما اسْتَنْصَحَتك فيه من أمرهم، علّمهم كتابَ الله عزَّ وَجَل حتَّى يحفظوه، وفقِّههم على ما بين الله فيه من حلالٍ وحرامٍ حتَّى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروهم من الشِّعر أعفه، ومن الحديث أصْدَقَه وجنِّبهم مُحَادَثة النِّسَاءِ، ومُجَالَسة الأظنّاء، ومُخَالطة السُفَهاء، فإنَّ ازدحام الكلام في السَّمع مَضَلّة للْفَهم،...**".

ويتضح تأثره بالحديث النبوي الشريف في الوصية في أكثر من موضع، ففي قوله: **(علّمهم كتابَ الله عزَّ وَجَل حتَّى يحفظوه، وفقِّههم على ما بين الله فيه من حلالٍ وحرامٍ حتَّى يعقلوه)**.

جاء الاقتباس واضح وجلي في الجملة السابقة، فنصحه عبد الملك بأن يعلم أولاده كتاب الله (عز وجل) حتى يحفظوه، ويعلموا طريق الصلاح فيلزموه وطريق الضلال فينأوا عنه، حتى يفقهوا أمور دينهم وهذا المعنى مقتبس من قول النبيﷺ: **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**[i]. وفي موضع آخر من الوصية لاحظت تأثره بالحديث الشريف في قوله:(وجنبهم محادثة النساء)، مقتبس من قول رسول الله ﷺ: **(.. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النِّساء)** [ii]. وفي موضع آخر من الوصية، قال:**(فإنَّ ازدحامَ الكلامِ في السَّمعِ مَضلَّة للفَهم)** مقتبس من قول الرسولﷺ: " **لا تكثروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله، فإنَّ كثرةَ الكلامِ بغيرِ ذكرِ الله تعالى قَسوَة للقلبِ، وإنَّ أبعدَ النَّاس من الله القلب القاسِي**"[iii].

ووصية أخرى لمؤدب بنيه تفصح عن ثقافة عبد الملك، وتعدد ألوان المعرفة لديه ومدى تأثره بالسنة النبوية الشريفة حيث يقول: " **عَلّمْهم الصدْقَ كما تُعلّمهُم القرآنَ؛ وجَنّبْهُم السفلة فإنهم أسوأ الناس رعة وأقلهم أدباً، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة؛ وأحفَّ شُعورهم تغلُظْ رقابُهم، وأطْعِمْهم اللّحْمَ يَقْووا؛ عَلّمْهم الشَّعْرَ يَمْجُدُوا ويَنْجُدُوا، ومُرْهم أن يستاكوا عرضاً ويمصوا الماءَ مصاً ولا يعبوه عباً؛ وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه**".

ويظهر الاقتباس بالدعوة إلى الصدق مع قول رسول الله ﷺ الذي يدعو فيه إلى الصدق فيقول: " **إنَّ الصدقَ يهدي إلى البر، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وإنَّ الرجلَ ليصدقَ حتَّى يكتبَ عندَ الله صديقاً، وإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجلَ ليكذبَ حتَّى يكتب عند الله كذاباً**"[iii]. ويتضح في حرصه نحوهم مجانبة مجالسة السوء مطابقاً لقول رسول الله ﷺ: " **إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد: لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة** " [iv]. ويتضح كذلك في إلزامه نحوهم أن يستاكوا عرضاً ويمصوا الماء

مصاً تأثر بقول رسول الله ﷺ فالاستياك ومص الماء من الأمور التي نبه عليها الرسول ﷺ في بعض أحاديثه.

ومن ذلك أيضاً وصيته لبنيه ولأهل بيته إذ قال: " **يَا بني مَرْوَان، ابْذُلُوا مَعْرُوفَكُمْ، وكُفُّوا أذاكُمْ، واعْفُوا إذا قدَرتُمْ ولا تَبْخَلُوا إذا سُئِلتُمْ، ولا تُلْحِفوا إذا سَألتُمْ، فإنه من ضَيَّقَ ضَيَّقَ عليه ومن وَسَّعَ وُسِّعَ عليه** ". نلحظ في هذه الوصية تأثره بالحديث النبوي الشريف، فيحث أبناءه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمعنى مقتبس من قول الرسول ﷺ فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: " **إياكم والجلوس في الطرقات. فقالوا: ما لنا بُدّ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال " غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**"[lv].

ومن ذلك وصية عبد الملك لبنيه حين حضرته الوفاة فيقول: "**أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله، فإنَّها عِصْمةٌ باقيةٌ، وجُنَّة واقيةٌ، والتَّقوى خيرُ زادٍ وأفضلُ في المَعَاد، وأحْصَنُ كَهفٍ، وأَزْيَنُ حِليةٍ، لِيعطفَ الكبيرُ منكم على الصغيرِ، وليعرفَ الصغيرُ منكم حقَّ الكبير، مع السلامة الصدورِ والأخذ بجميل الأمور**....". فيوصي أبناءه بتقوى الله (عز وجل) والتحلي بمكارم الأخلاق، وأن يعطف الكبير على الصغير، ويوقر الصغير الكبير، متأثراً بقول رسول الله ﷺ: " **ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا** "[lvi].

ثانياً: البديع في وصايا عبد الملك:

للبديع دور فعال في تحسين الكلام، ومعرفة المزايا التي بواسطتها يكتسب الكلام جمالاً، " فهو العلم الذي يعرف الأديب به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة على ما يريد التعبير عنه "[lvii] بخلوها عن التعقيد والتكلف ومن تلك المحسنات البديعية.

السجع:

السجع: هو توافق الفاصلتين من الكلام المنثور على حرف واحد [lviii] وجاء السجع في وصايا عبد الملك لأهميته في تحقيق التوازن بين النصوص، وإعطائها القيمة الجمالية والفنية.

وشَكَّلَ السجع في وصايا عبد الملك بن مروان ظاهرة لغوية مميزة تستحق الدراسة، فجاء السجع واضحاً في وصاياه، فالسجع مهم للنثر كأهمية القافية للشعر، فهو يعطي جرساً موسيقياً للكلام، وتلك الموسيقى تأتي من التوافق بين الألفاظ المسجوعة، ويُلمح في وصيته لمؤدب بنيه إسماعيل ابن عبيد الله بن أبي المهاجر، فقال له: " **إنّي قد اخْتَرتُكَ لتأديبِ وَلَدي، وَجَعَلْتُكَ عَيْني عليهم وأميني فاجْتَهِدْ في تأدِيبِهِم، ونَصيحَتي فيما اسْتَنْصَحْتُكَ فيه من أمْرِهِم عَلّمْهُمْ كتابَ اللهِ عزَّ وجل حتى يَحْفَظُوه، وَفَقّهْهُمْ على ما بينَ الله فيه من حلالٍ وحرامٍ حتى يَعْقلوه، وخُذْهُمْ من الأخلاق بأحْسَنِها، ومن الآدابِ بأجْمَعِها، وَرووهِمْ من الشعرِ أَعفَّهُ، ومن الحديثِ أصْدَقَهُ، وجَنبْهُمْ محادثةَ النساءِ، ومجالسةِ الأظِنَّاءِ، ومخالطةَ السُفَهاءِ، وخَوفْهُمْ بي، وأدِّبْهُمْ دُوني....**"[lix].

ويُلاحظ أن السجع قد حقق التوازن بين عبارات الوصية، فالسجع ألبسها حسن التقسيم وجمال التنظيم، والنص يتكون من سبع وحدات أو فواصل تبدأ الأولى من، (إني قد اخترتك لتأديب ولدي) إلى (وجعلتك عيني عليهم وأميني) والثانية من (فاجتهد في تأديبهم) إلى (فيه من أمرهم) والثالثة من (حتى يحفظوه) إلى (حتى يعقلوه) والرابعة من (الأخلاق بأحسنها) إلى (الآداب بأجمعها) والخامسة من (الشعر أعفه) إلى (الحديث أصدقه) والسادسة من (ومجالسة الأظناء) إلى (ومخالطة السفهاء) والسابعة من (وخوفهم بي) إلى (وأدبهم دوني) وإذا نظرنا إلى سجع الوصية نجد أكثرها تألفت من لفظتين وهذا نادر وقوعه في اللغة، ولذلك اعتبره علماء البلاغة دليل براعة الخطيب، ويسميه ابن الأثير (ت637هـ) السجع القصير وهو: (أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة، وكلما قلت الألفاظ كان أحسن، لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع، وهذا الضرب أوعر السجع مذهباً، وأبعده متناولاً، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً)[lx].

وجاء السجع في وصيتة الأخرى لمؤدب بنيه، إذ قال: (...، وعلمهم الشعر يسمحوا ويمجدوا، وينجدوا...، وأطعمهم اللحم يقووا، ويشجعوا، وجز شعورهم، تغلظ رقابهم...). فاشتملت هذه الوصية على وجود السجع غير المتكلف، الذي أدى إلى وجود موسيقى رائعة وجميلة داخل النص.

كما يُلمح وجود السجع في وصيته لأهل بيته في قوله: " **يَاْ بني مَرْوَان، ابْذُلُوا مَعْرُوفَكُمْ، وكُفُّوا أذاكُمْ، واعْفُوا إذا قدَرتُمْ، ولا تَبْخَلُوا إذا سُئِلتُمْ، ولا تُلْحِفوا إذا سَألتُمْ، فإنه من ضَيَّقَ ضَيَّقَ عليه، ومن وَسَّعَ وُسِّعَ عليه**". لقد كان للسجع في النص تأثير قوي على المستويين الصوتي والموسيقي، والذي أعطى للنص سهولة في النطق والحفظ والفهم، وكان من شأنه دفع الرتابة والملل، وجذب انتباه الحاضرين قبل شرودهم.

ومن وصاياه التي تحقق السجع فيها أيضاً وصيته لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر إذ قال: (**تَفَقَّدْ كَاْتِبَكَ، وَحَاْجِبَكَ، وجَلِيسَكَ، فإنَّ الغائبَ يخَّبُرهُ عنك كاتِبُكَ، والمتوسَّمُ، يَعْرِفُكَ بِحَاجِبِكَ، والدَّاخلُ عليكَ يُعْرِفُكَ بِجَليسِكَ**) فوجود السجع أدى إلى وقوع النغم بين أجزائها ووجود جرس موسيقي تطرب له الآذان. ومن وصاياه التي شكل السجع فيها أحد الأشكال اللفظية وصية أخرى لأخيه عبدالعزيز في قوله: (**ابْسُطْ بِشْرَكَ، وألنْ كنفكَ، وآثِرِ الرِّفْقَ في الأمور، فهو أبلغُ بك، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يَقِفَنَّ أحدٌ ببابكَ، إلا أعلمكَ مكانهُ، لِتَكُونَ أنت الذي تأذن له أو تَرُدِه، وإذا خرجت إلى مَجْلِسِكَ، فابدأْ جُلساءَكَ بالكلام يأنسوا بك، وتثْبُت في قلوبهم محبتكَ، وإذا انتهى إليك مُشْكِل فاستظهر عليه بالمشاورة، فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة، وأعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه، ولن يهلك امرؤ عن مشورة، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته،...**). امتازت هذه الوصية بجودة عالية، وبمتانة الأسلوب، وأناقة اللفظ، فتزينت بجملها المسجوعة التي أكسبتها تشكيلة صوتية تمتع النفس، وتبهجها وتبعدها عن السأم.

وعمد إلى السجع في وصيته الأخيرة التي قالها ساعة الاحتضار، رغم هيبة الموقف إلا أنه جَملها بالسجع الذي يعطي الألفاظ وقعاً موسيقياً عذباً إذ قال:

" **أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله، فإنَّها عِصْمةٌ باقيةٌ، وجُنَّة واقيةٌ، والتَّقوى خيرُ زادٍ وأفضلُ في الَمعَاد، وأحْصَنُ كَهفٍ، وأَزْينُ حِليةٍ، لِيعطفَ الكبيرُ منكم على الصغيرِ، وليعرفَ الصغيرُ منكم حقَّ الكبير، مع السلامة الصدورِ والأخذ بجميل الأمور، فإنّكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاءَ، وهابتكم الأعداءِ، إيّاكم والتّباغي والتَّحاسُدَ، فإنَّ بهما هلكَ الملوكُ الماضون، وذوو العِز المُتكبَّرون، انظروا يا بَنِي مَسلمَةَ بن عبد الملك، فاصدُروا عن رأيه، فإنَّه نابكمُ الذي تفترُّون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به، وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكونوا عند القتال أبراراً، وعند المعروف مناراً، وكونوا بني أمّ بررة، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شِدَّة..**".

جاء السجع غالباً على ألفاظها متنوعاً هذا التنوع أعطى الكلام جرساً موسيقياً جميلاً يجذب الانتباه، وقد اشترط ابن الأثير (ت637هـــ) في السجع أن تكون ألفاظه حلوة رنانة، لا غاثة ولا باردة[lxi].

ولعل عبد الملك أكثر من السجع في وصاياه كمحسن بديعي؛ ذلك لأنه يبث روح الجمال في النص الأدبي، ويقلل من الملل، فلم يقتصر اهتمامه على المضمون فقط، بل أبدى اهتماماً راسخاً بالشكل أيضاً، فيعد السجع وسيلة من وسائل جذب الانتباه وإقناع السامعين.

الطباق:

الطباق: هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وقد يكونان اسمين أو فعلين أو حرفين أو اسماً وفعلاً، والطباق ضربان طباق بالإيجاب وطباق بالسلب[lxii].

ويقول العسكري (ت395هـــ): " قد أجمع الناس على أن المطابقة في الكلام بين الشيء وضده في جزء من الرسالة أو الخطبة أو البيت من القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد "[lxiii].

ولم يسرف عبد الملك من الطباق في وصاياه ففي وصيته لمؤدب بنيه لقد طابق بين: **(ووقرهم في العلانية، وأدبهم في السر)** وفي موضع آخر من الوصية طابق بين **(وفقههم على ما بين الله فيه من حلال، وحرام حتى يعقلوه)** كما طابق بين **(ومرهم أن يستاكوا عرضاً، ويمصوا الماء مصاً ولا يعبوه عباً)** كما ورد الطباق في وصيته لأهل بيته فنجده يطابق بين: **(يا بني مروان، ابذلوا معروفكم، وكفوا أذاكم، واعفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سُئلتم، ولا تلحفوا إذا سألتم، فإنه**

من ضيق ضيق عليه ومن وسع وسع عليه). والطباق جاء واضحاً في الوصية، فقد طابق بين ابذلوا، وكفوا، معروفكم، أذاكم، ضيق، وسع. وجاء الطباق ضمن الموعظة والنصائح التي يدعو إليها من خلال الكلمات المتناقضة، حيث يأمرهم ببذل المعروف وكف الأذى، فعمل على توضيح المعنى وتأكيده.

وفي وصيته للشعبي طابق فيها بين: (...، **ودع عنك كيف أصبح الأمير، وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما أستطعمك، واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني، وأعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنك منه شيء، وأرني فهمك من طرفك وسمعك، ولا تجهد نفسك في تطرية جوابي، ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي، فإن أسوأ الناس حالاً من استكد الملوك بالباطل، وإن أسوأ الناس حالاً منهم من استخف بحقهم، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويسقط حق الحرمة، فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من النطق في موضعه، وعند إصابته فرصة)**. جاء الطباق في الوصية لتأكيد المعنى، بالإضافة إلى القيمة الفنية التي عملت على تكوين بناء محكم للنص من خلال ذكر الطباق، واللجوء إلى الكلام المثبت الواضح، الذي يؤكد فيه عبد الملك فكرته وغرضه للشعبي.

ومن الوصايا التي تحقق الطباق فيها وصيته للناس، فيقول: " **إن الله جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته، وأثابهم على طاعته؛ فالناس بين محسن بنعمة الله عليه، ومسيء بخذلان الله إياه، ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيء...)** [lxiv]. فالطباق أدى إلى توضيح المعنى وإبراز الجرس الموسيقي الذي يجذب الانتباه، فعبد الملك تأنق في الكلام، دون أن يصل إلى حد الإسراف والمبالغة في الزينة والزخرف.

الجناس:

هو تشابه بين كلمتين في النطق واللفظ ويكون اختلافهما في المعنى، ويقول أبو هلال العسكري (ت395هـ): " التجنيس ضرب من الكلام يورد فيه كلمتان، تجانس كل منهما صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي كتاب الأجناس، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاقاً ومعنى، ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى" [lxv]. ويمكن اعتبار الجناس من المحسنات التي تزيد من سلاسة النصوص وتجعل لها جرساً موسيقياً،

فللجناس إيقاع وأثر صوتي جميل بسبب تكرار الحروف، فيسهم الجناس في تشكيل الإيقاع، والانسجام الصوتي، الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات.

والجناس لا يقل أهمية عن المحسنات التي سبقت، ويعد الجناس حسناً إذا لم يكن متكلفاً، ولقد زين عبد الملك وصاياه بالجناس غير التام (الناقص) وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من نوع الحروف أو عددها أو هيئتها أو ترتيبها [lxvi] ومن النماذج الدالة على الجناس في وصايا عبد الملك، الجناس في وصيته لمؤدب بنيه إذ قال: (**وعلّمهم الشعر،يسمحوا، ويمجدوا، وينجدوا،...، وأطعمهم اللحم يقووا، ويشجعوا، وجز شعورهم تغلظ رقابهم، وجالس بهم أشراف الناس وأهل العلم منهم، فإنهم أحسن الناس أدباً وهدياً، ومرهم فليستاكوا، وليمصوا الماء مصاً، ولا يعبوه عباً، ووقرهم في العلانية، وأدبهم في السر، واعلم أن الأدب أولى بالغلام من النسب**). فقد جانس بين (يسمحوا – يمجدوا– ينجدوا– يشجعوا، مصاً – عباً، الأدب – النسب) والجناس هنا أعطى الكلام جرساً موسيقياً جميلاً.

ومن ذلك أيضاً: (**إنّي قد اخْتَرتُكَ لتأديبِ وَلَدي، وَجَعَلْتُكَ عَيْني عليهم وأميني فاجْتَهِدْ في تأدِيبهِم، ونَصيحَتي فيما اسْتَنْصَحْتُكَ فيه من أمْرِهم عَلّمْهُمْ كتابَ اللهِ عزَّ وجل حتى يَحْفَظُوه، وَفَقّهْهُمْ على ما بينَ الله فيه من حلالٍ وحرامٍ حتى يَعْقلوه، وخُذْهُمْ من الأخلاق بأحْسَنِها، ومن الآدابِ بأجْمَعِها، وَرووهِمْ من الشعرِ أَعفَّهُ، ومن الحديثِ أصْدَقَهُ، وجَنبْهُمْ محادثةَ النساءِ، ومجالسةِ الأظِنَّاء، ومخالطةَ السُفَهاء، وخَوفْهُمْ بي، وأدَّبْهُمْ دُوني...**).

فقد جانس عبد الملك جناس غير تام بين: يحفظوه – يعقلوه – يفهموه، أحسنها – أجمعها، محادثة– مجالسة – مخالطة.

وفي وصيته لابنه الوليد نجد الجناس في قوله: (أصولها – فروعها، بناؤه – ضياؤه، البناء – الثناء الأبشار – الأحرار، الفضل – الهون).

وفي وصيتة لرجلين أرادا أن يكون من خاصته جانس فيها بين: (تجالسني – تسامرني– أمقتكما – استغشكما).

وفي وصيته للشعبي جاء الجناس فيها بين: " التهنئة – التعزية، فهمك– طرفك – سمعك، صوابي – كلامي، الصمت – النطق ".

فالجناس ساعد على التنغيم ووجود نغمة موسيقية خاصة، واستعانت عبد الملك بالمحسنات البديعية في وصاياه ساعده على إرسال ألفاظه سلسة ومتناغمة.

ثالثاً: الصور البيانية

البيان: هو أحد علوم البلاغة الثلاثة، وهو إظهار ما في النفس من أفكار ومشاعر إبانة باللفظ أو العبارة، ومن شرف البيان أن المولى عز وجل اختصه بالذكر في تنزيله الحكيم في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [lxvii].

ويعرفه القزويني (739هـ): هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد، وإبرازه في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة، زيادة ونقصاناً في وضوح الدلالة عليه، لتحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه [lxviii].

ويعرفه الجاحظ (ت255هـ): بأنه اسم جامع لكل شيء كاشف قناع المعنى، ويقوم على انتقاء الألفاظ، وسلامة التركيب، ووضوح الدلالة في أداء المعنى [lxix].

إذاً فالبيان هو النطق الفصيح الواضح عما في الضمير، وستعرض الدراسة بعضاً من هذه الفنون البيانية في وصايا عبد الملك؛ لبيان دورها في أداء المعنى.

التشبيه:

التشبيه لغة: هو التماثل والتمثيل، ويقول أحمد مطلوب: " الشّبْه والشَّبيه: المِثْل، والجمع، أَشْباهُ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ أي ماثله، وأشبهت فلاناً وشابهته وأشتبه عليّ، وتشابه الشيئان وأشتبها: أي أشبه كلّ واحد منهما صاحبه [lxx].

ويعد التشبيه من الأساليب البيانية الأكثر استعمالا، إذ به يتبارى الفصحاء، فهو مقياس تقاس به السامعين، وعرفه العسكري (395هـ) بأنه: " الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه، أو لم ينب" [lxxi].

وعرّفه القزويني (ت739هـ) بأنه: " الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى" [lxxii].

وعرّفه ابن رشيق القيرواني (456هـ) بقوله: " التشبيه: هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه " [lxxiii].

وللتشبيه تعريفات عدة كثيرة لا تخرج في مضمونها عما أوردناه سابقاً، فالتشبيه فن من فنون البلاغة والبيان، له أهميته في إبراز المعنى وتوضيحه مع إعطائه نوعاً من التوكيد، كما أنه يظهر مهارة الأديب من خلال قدرته على خلق الصور وتوظيفها. ومن النماذج الدالة على

التشبيه في وصايا عبد الملك بن مروان: وصيته حين حضرته الوفاة إذ قال: " **أُوصِيكُمْ بتَقْوَى الله، فإنَّها عِصْمةٌ باقيةٌ، وجُنَّة واقيةٌ، والتَّقوى خيرُ زادٍ وأفضلُ في المَعَاد، وأحْصَنُ كَهفٍ، وأَزْينُ حِليةٍ...**". لجأ عبد الملك إلى الصورة التشبيهية في قوله فشبه التقوى بأنها عصمة وجنة وخير زاد وأحصن كهف وأزين حلية، فجاء التشبيه هنا لإيضاح المعنى وتوكيده.

وجاء التشبيه في موضع آخر من الوصية في قوله: (.... **انظروا يا بني، مسلمة بن عبد الملك، فاصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به....**). وفي هذه الوصية ينصحهم باللجوء إلى مسلمة في كافة مناحي الحياة فشبهه بالناب وبالمجن وهو تشبيه بليغ. وفي وصيته لأخيه عبد العزيز جاء التشبيه في قوله: (.... **وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك...**). والحاجب هو الشخص القريب من الحاكم، ولابد أن يكون شديد الإخلاص له وصادق النية، فقد شبه الحاجب بالوجه واللسان وهو تشبيه بليغ فالإنسان قد يستطيع إخفاء بعض أعضائه إلا الوجه واللسان؛ فاللسان أداة التواصل، والوجه يستقبل به الناس، وبرع عبد الملك في الإتيان بهذه الصورة وذلك لأهمية منصب الحاجب.

وفي وصيته لملك الروم جاء التشبيه في قوله: **(أَنْتَ تاجرُ اللهِ لعبادِه)** فقد شبه القائد بالتاجر يبيع ويشتري وغايته الربح، وليوضح المعنى ويرسخه في ذهن القائد اتبعه بتشبيه آخر يقوي الأول ويوضح معناه، فقال: **(فكُن كالمُضارِب الكيِّس الذي إنْ وَجَدَ ربْحاً اتّجَر)** فلقد شبهه بالمحارب الذكي الفطن الذي لا يزيد بالثمن إلاّ ليجني الربح.

الاستعارة:

تعد الاستعارة مظهراً من مظاهر البلاغة، وأحد أهم أركان التعبير الجميلة في اللغة العربية، وتعمل على شرح المعنى وإبانته وتأكيده، كما تدل على براعة الخطيب في استحضاره هذه الصورة في نثره.

يقول السكاكي (ت626هـ) في تعريفه للاستعارة بأنها:" هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به " [lxxiv].

وعرّفها العسكري (ت395هـ) [lxxv] بأنها: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ما.

ومن النماذج الدالة على الاستعارة في وصاياه، وصيته لابنه الوليد حين ولاه أمر دمشق إذ قال: "**يا بُنيّ لأبيك صنائعُ، قد رسخت في المجد أصولُها، وأورقت في العُلى فروعُها، وأنشر عند الناس ذكرُها، فلا تهدمنَّ ما قد شرف لك بناؤه، وأضاء لك ضياؤه، فكفى من سوء رأي المرء، وقبيح أثره، وضَعَةِ نفسه أن يهدم ما قد شُيّدَ له من فضيلةِ البناء، ورفيع الثناء**".

يتباهى عبد الملك بتاريخه، وما حققه من إنجازات، ويُذكر ابنه بتلك الإنجازات، ويوصيه بعدم هدمها، وأن يحتفظ بمجد آبائه لترسخ الدولة وتشمخ. وقد شبه هنا الصنائع بشجرة لها أصول ترسخ، وشبه المجد بأرض ترسخ فيها تلك الصنائع وتلك الصورة على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن أمثلتها أيضاً ما جاء في وصيته التي قالها قبل وفاته إذ قال؛ (لا ألفينك يا وليد إذا وضعتني في حفرتي تعصر عينيك كما تفعل الأَمَة) ففي هذه الوصية يوصيه بالحزم والقوة عند دفنه وإظهار شدته على الناس وأن لا يبكِ عليه بكاء الأَمَة فقوله (تعصر عينيك) استعارة مكنية حيث شبه العين بشيء مادي يعصر غرضها التوضيح.

الكناية:

تعد الكناية لوناً من ألوان البلاغة؛ التي لا يدركها إلا صاحب الطبع اللطيف، فهي تقدم الحقيقة بصور جديدة، وتدل على براعة الخطيب وقدرته على تطويع اللغة.

الكناية لغة: هي أن تتكلم بشيء وتريد معنى غيره [lxxvi].

اصطلاحاً: عرّفها القزويني (739هـ): " هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ[lxxvii]. وعرّفها السكاكي (626هـ) بأنها: "هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك" [lxxviii]. وقد عرّفها الجرجاني (471هـ) بأنها: "إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود"[lxxix].

ومن تلك الكنايات. ما جاء في وصيته التي قالها قبل وفاته: (..... **وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قحم تلك القناطر، كونوا أولاداً أبراراً، وفي الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، وإحلولوا في مرارة، ولينوا في شدة ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال: ... بل شمر واتَّزر والبسْ جلد نِمر، وادعُ الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا،....**).

هذه الوصية هي آخر ما قاله عبد الملك قبل وفاته، وفيها أوصاهم بتقوى الله، والتعاطف فيما بينهم، وعدم البغي والتحاسد، وأوصاهم بأخيهم مسلمة ليصدروا عن رأيه، كما أوصاهم بالحجاج وإكرامه، لما قدمه للبيت المرواني من خدمات، فيقول: (وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قحم تلك القناطر) كناية عن تقديره للحجاج ولمواقفه المشهودة تجاه البيت الأموي والمرواني وسر جمالها تأتي بالمعنى مصحوبًا بالدليل عليه في إيجاز وتجسيم.

وقوله: (بل اشمر واتزر والبس جلد نمر) كناية عن القوة والبأس بجلد النمر لما يشتهر به من الشراسة والقوة. وقوله: (فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا). فمن قال برأسه هكذا كناية عن عدم تقبله الرأي الآخر، والرفض والجلد والقوة والاستعداد للشدائد.

ومن ذلك أيضاً قوله: **(يا بُنيّ لأبيك صنائعُ، قد رسخت في المجد أصولُها، وأورقت في العُلى فروعُها، وأنشر عند الناس ذكرُها، فلا تهدمنَّ ما قد شرف لك بناؤه، وأضاء لك ضياؤه، فكفى من سوء رأي المرء، وقبيح أثره، وضَعَةِ نفسه أن يهدم ما قد شُيّدَ له من فضيلةِ البناء، ورفيع الثناء، إيَّاك وأعراضَ الأحرار، فإن الحرَّ لا يُرضيه عن عرضه عِوَضٌ....)**.

فقوله (ولا تهدمن ما قد شرف لك بناؤه) كناية عن حرص عبد الملك على ما شيده من مجد ورفعة وفضيلة، فكانت أمنيته أن تستمر في خلافة ولده. وقوله: (الحر لا يرضيه عن عرضه عوض) كناية عن الشرف والترفع. ولابد من القول، أنّ التصوير في وصايا عبد الملك بن مروان جاء بشكل عفوي، ولم يظهر عليه التصنع، ولم يبالغ في توظيفه، بل زاد من التأثر على المتلقي، وزاد النص جمالاً، وعمل على أداء غرضه على أكمل وجه.

الخاتمة:

اشتملت على النتائج التي توصل إليها البحث، وهي كالآتي:

- أَسْهَمَ عبد الملك كثيراً في هذا الفن، فقد جاءت وصاياه متنوعة وشاملة، فمنها السياسي والحربي والخلقي والاجتماعي والتربوي وغير ذلك مما يدلنا على مكانته الأدبية وتنوع ثقافته وخبرته ومعرفته بشتى مجالات الحياة. فهو شخصية أُمويَّة مهمة، ومؤثرة في تاريخِ الدَّولةِ الأمويَّةِ، تنتمي للبيت المرواني، له دورٌ كبيرُ في توطيدِ أركانِ الحُكمِ والخِلافةِ حيثُ استمرتْ ولايته بقرابة واحد وعشرين عاماً، وقد عُدت أيام حكمه من أزهى أيام بني أمية، ويُعدُّ عبد الملك من أحزمِ خلفاء بني أمية، ومن الشخصيات المرموقة في التاريخ الأدبيّ والسياسيّ،

فكانت وصاياه وسيلة في نقلِ أفكاره وآرائه للآخرين، فقدَّم عبد الملك وصاياه لمربي أولاده ولأبنائه ولإخوته، ولقواده، وكلها تحمل خلاصة ما لديه من خبراتٍ وتجاربٍ.

- السِمةُ التي طبعتْ وصايا عبد الملك بطابعها وميزتها عن سواها، فهي الإيجازُ في التعبيرِ والاقتصادِ في الألفاظِ، إلا أنَّ الإيجازَ في أسلوبِهِ لمْ يطغَ على الوضوح في معانيهِ، فالمعاني جاءتْ واضحةً جليةً، لا غموضَ ولا التواءَ فيها. فتميَّزتْ لغتُه بالرصانةِ والجزالةِ والوضوحِ، وذلك من خلال التناسُق بين الألفاظِ وتلاحم العباراتِ، ورقتها وخلوها من الصنعة والتكلف فقد كانت لكلِ لَفْظةٌ دورها المؤثّر.
- اهتمَ عبد الملك بتنميق وصاياه ورونقتها وذلك من خلال استخدام ألوانِ البلاغة فيها من سجعٍ وجناسٍ وطباقٍ وتشبيهٍ وكنايةٍ واستعارةٍ.
- تأثر عبد الملك بالروح الإسلامية ويظهر ذلك جلياً من خلال توظيفه آيات من القرآن الكريم، واعتناءه بالأحاديث النبوية الشريفة ذات المعاني المتباينة في تمجيد سيد الخلق –صلى الله عليه وسلم – التي تشتمل على معان عظيمة؛ فالحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم.

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة وصايا علم من أعلام أمتنا الإسلامية البارز اسمه في الخطابة والكتابة، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، أمير المؤمنين، زعيم الحزب الأموي، بكونه القائد المحنك، والخطيب المفوه بين رجال حزبه، وكان يعد من الخطباء المعدودين في بني أمية، يقرن اسمه بسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وكان لعبد الملك فصاحة وبلاغة عرفتها المجالس والمحافل، حيث ظهرت موهبته الأدبية في أقواله وفنونه النثرية، مما حدا بنا الوقوف علي أبرز هذه الفنون – الوصايا– والتي كانت منهاجاً لبحثنا هذا، وقد قسمت الدراسة (وصايا عبد الملك بن مروان النثرية دراسة موضوعية فنية)، إلى مبحثين مسبوقة بمقدمة وتمهيد ومذيلة بخاتمة، جاء المبحث الأول بعنوان المضامين تناولت فيه موضوعات الوصايا وأغراضها وتحليلها، وتناولت في المبحث الثاني الدراسة الفنية للنصوص من حيث اللغة والأسلوب والوقوف على أسرار لغة عبد الملك وأسلوبه من حيث الإيجاز والإطناب، وأساليب الإنشاء، والاقتباس، واستخرجت ما اشتملت عليه هذه الوصايا من ألوان بديعية وصور بيانية وبيان دلالتها.

Abstract:

This research deals with the study of the commandments of a flag of our prominent Islamic nation named in the oratory and writing, Abd al-Malik bin Marwan bin Al-Hakam bin Al-Aama, amir al-Mu'minin, leader of the Umayyad party as a seasoned leader, and the voiceless orator among the men of his party, and was considered one of the many preachers in Bani Umayyad, pairing his name with Said bin Al-Musayib, and Aroua bin Zubair, and Abdul Malik had the eloquence and eloquence known to the councils and forums, where his literary talent appeared in his statements and prose arts, which led us to stand on the most prominent of these arts - commandments - which The first topic, entitled The Contents, dealt with the topics of the commandments, their purposes and their analysis, and dealt in the second the study of the technical study of texts in terms of language and style, and to identify the secrets of the language of Abdul Malik and his style in terms of brevity and composition, methods of creation, quotation, and extracted the importance of these commandments of exquisite colors, statement images and statements.

(i) ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001م، ج7:221

(ii) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد الأموي)، المكتب الإسلامي، ط7، 2000م، ص173

(iii) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1960م، ج6،418

(iv) ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، تاريخ الخلفاء، دار المنهاج، لبنان، بيروت، ط4، 2015م، ص 358، 359، 360

(v) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ، لبنان، ط8، 1990م ج67/9

(vi) ينظر: ابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن علي محمد بن محمد الشيباني(630هـ)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج237/4

(vii) ابن كثير، البداية والنهاية، ج61:9

(viii) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981م، ج512:1

(ix) ابن كثير، البداية والنهاية، ج62:9

(x) ابن كثير، المصدر السابق، ج63:9

(xi) رضا محمد البلهاسي، أدب الخلفاء والولاة والقادة الأمويين مضامينه وخصائصه الفنية، رسالة ماجستير، جامعة المنيا، 2001م، ص3

(xii) رابحة مصطفى ياسين أسعد، صور عبد الملك بن مروان في الدراسات الأدبية دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1996م، ص32

(xiii) البلاذري، أحمد بن يحيي بن جابر (ت279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج207:7

(xiv) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، ج421:2

(xv) ينظر: محمد ضياء الدين الريس، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، مكتبة المهتدين، ط2، 1969م، ص245

(xvi) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (وصى) ج394:15

(xvii) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، (ت395هـ) مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج6، دار الفكر، ص116 " مادة وصى ".

(xviii) صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1987م،

(xix) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1:42

(xx) الحسن علي بن هذيل، عين الأدب والسياسة، مصر، ط1، 1302هـ، ص151

(xxi) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الأموي)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1933م، ج2، ص198

(xxii) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ)، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1:44

(xxiii) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3:99

(xxiv) السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي (ت248هـ)، المعمرون والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1961م، ص160

(xxv) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الأموي)،ج2:197

(xxvi) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2:325

(xxvii) المسعودي، أبو الحسن بن على (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه، كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د. ط)، 2011م، ج3:81

(xxviii) محمد محمود الغرباوي، من وصايا الخلفاء الأمويين والعباسيين ومعاونيهم لمؤدبي أولادهم، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عدد21، 2001م، ص256

(xxix) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2:167

(xxx) عاطف عبد اللطيف السيد، من وصايا الخلفاء في عصر بني أمية: دراسة فنية، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية، الزقازيق، عدد 14، 1994م، ص86

(xxxi) أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1991م، ص44

(xxxii) ينظر: القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة: تعليق محمد خفاجي، دار الكتاب، ط4، بيروت، لبنان،1975م، ج2:287

(xxxiii) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن على (626هـ)، مفتاح العلوم، حققه وقدم له: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م، ص388

(xxxiv) أحمد مطلوب، حسن البصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط2، 1999م،

(xxxv) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1:23

(xxxvi) سليمان محمد سليمان، التذوق الأدبي والنقدي عند الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2015م، ص58

([xxxvii]) السجستاني، المعمرون والوصايا، ص160

([xxxviii]) ابن هذيل، عين الأدب والسياسة، ص151

([xxxix]) المسعودي، مروج الذهب، ج3:81

([xl]) بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، ط3، 1988م، ص660

([xli]) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج7:212

([xlii]) ابن هذيل، عين الأدب والسياسة، ص151

([xliii]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1:42

([xliv]) المسعودي، مروج الذهب، ج3:81

([xlv]) يحيي بن حمزة العلوي اليمني (749هـ)، الطراز، تقديم، إبراهيم الخولي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2009م، ج3:281

([xlvi]) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج7:210

([xlvii]) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 2:167

([xlviii]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3:99

([xlix]) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج7:210

([l]) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 2002م، ص30

([li]) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ)، صحيح مسلم، درا طيبة، ط1، 2006م،

([lii]) أبو عيسي محمد بن عيسي الترمذي (279هـ)، الجامع الكبير، حققه وخرج أحاديثه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م، ج4:211

([liii]) البخاري، صحيح البخاري، ص1525

([liv]) البخاري، المصدر السابق: ص506

([lv]) البخاري، المصدر نفسه، ص596

([lvi]) الترمذي(297هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م،

([lvii]) عبده عبد العزيز قليقلة، معجم المصطلحات البلاغية، دار الفكر العربي، ط3، 1992م، ص288

([lviii]) ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين (ت637هـ)، المثل السائر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د. ت)، ج1:210

([lix]) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج7:224

([lx]) ابن الأثير، المثل السائر، ج1:235

([lxi]) ابن الأثير، المصدر السابق، ج1:197

([lxii]) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ص77،78

([lxiii]) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (395هـ)، الصناعتين، حققه وضبطه: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص339

([lxiv]) الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين(ت421هـ)، من نثر الدر، قدم لها وعلق: مظهر الحجي، دمشق، وزارة الثقافة، 1997م، ج2:37

([lxv]) العسكري، الصناعتين، ص353

([lxvi]) عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص205

([lxvii]) سورة الرحمن: الآيات 1،2،3،4

([lxviii]) القزويني (ت739هـ)، تلخيص المفتاح، مكتبة البشري، ط1، 2010م، ص81

([lxix]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، تقديم: عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003م، ج1:154

([lxx]) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2007م، ص323

([lxxi]) العسكري، الصناعتين، ص261

([lxxii]) القزويني، الإيضاح، ج2:328

([lxxiii]) ابن رشيق القيرواني(456هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م، ج1:286

([lxxiv]) السكاكي، مفتاح العلوم، ص477

([lxxv]) العسكري، الصناعتين، ص295

([lxxvi]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كني) ج15:233

([lxxvii]) القزويني، الإيضاح، ص241

([lxxviii]) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 512

([lxxix]) أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (471هـ)، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م، ص 66